

العنوان:	إفريقية والغزو البحري في العصر الوسيط من القرن 4 هـ / 10م إلى القرن 10 هـ / 16م
المصدر:	البحث العلمي
الناشر:	جامعة محمد الخامس - المعهد الجامعي للبحث العلمي
المؤلف الرئيسي:	جدلة، إبراهيم
المجلد/العدد:	ع45
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1998
الصفحات:	55 - 64
رقم MD:	582430
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	أفريقيا والغزو البحري
رابط:	<a href="https://search.mandumah.com/Record/582430">https://search.mandumah.com/Record/582430</a>

## إفريقية والغزو البحري في العصر الوسيط (من القرن 4هـ/10م إلى القرن 10هـ/16م)

إبراهيم جدلة

كلية الآداب - منوبة - تونس

حتى القرن السادس عشر الميلادي مثل البحر المتوسط (بحر الروم) القلب النابض للعالم القديم، فكان أهم مجال للحرب والسلم والمبادلات منذ أقدم العصور. وحسب ابن حوقل: «ليس في البحار أعمر حاشية من هذا البحر لأنّ العمارات من جنبه ممتدة غير منقطعة ولا ممتنعة...» (1) وفي إطار هذا البحر، كانت الحدود تتنقل وتتغير باستمرار بين دار الاسلام ودار الحرب، وقد لعبت افريقية دورا هاما في ذلك نتيجة موقعها المشرف على مضيق صقلية والفاصل بين الحوضين الشرقي والغربي للمتوسط.

وقد حبّزت دراسة الغزو البحري بافريقية بداية من القرن الرابع هـ/العاشرم، لأن ذلك القرن مثل نهاية الهيمنة البحرية الاسلامية وظهور شكل جديد من الصراع البحري اختلط فيه الجهاد واللصوصية البحرية والمصالح التجارية.. وقد تواصلت هذه الوضعية حتى القرن 10هـ/16م حين عرف العالم القديم تحولات هامة تمثّلت في بروز قوة العثمانيين البحرية في المتوسط وفي اكتشاف العالم الجديد وما مثلته المحيطات من آفاق جديدة للقوى البحرية التجارية والاستعمارية الأوروبية، وهي الظروف التي شهدت ميلاد شكل جديد من القرصنة كمؤسسة منظمة ونشاط اقتصادي رئيسي لبعض الكيانات.

## منعرج القرن الرابع هـ / العاشر م ونهاية الهيمنة البحرية

### الإسلامية بإفريقية

لم يهمل الفاتحون العرب لبلاد المغرب المجال البحري رغم غياب تقاليد سابقة لديهم في هذا المضمار. ومنذ بداية فتح المنطقة، أمر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عمه عبدالعزيز بن مروان والي مصر وإفريقية آنذاك (قبل سنة 86هـ/705م) أن يتوجّه إلى تونس ألف قبضيّ وألف قبضية وأن يجعل بها دار صناعة وأن يستكثر من المراكب بها (2).

وتورد لنا المصادر الكثير من المعلومات عن تجاوز الفتوحات البرّ إلى البحر. وكانت في البداية مجرد إغارات على سواحل الرّوم لشغلهم عن بلاد الإسلام (3)، ثم أصبحت عملاً شبه منظم هدفه الأساسي غزو دار الحرب (بلاد الروم). ويروي لنا ابن عذاري كيف أن موسى بن نصير «عقد لعياش بن أخيل على مراكب إفريقية فمشى في البحر إلى صقلية، فأصاب مدينة يقال لها سرقوسة فغنمها وجميع ما بها وقفل سالماً غانماً...» (4). وربما بلغ هذا الأسطول الحديث النشأة آنذاك القسطنطينية في عهد موسى بن نصير (5).

ومن أغرب التحولات في تلك الفترة هو أن الفاتحين الجدد سرعان ما أصبحت لهم هيمنة تكاد تكون مطلقة على البحر في فترة وجيزة. ولا يمكن تفسير هذا التحول السريع سوى بتراجع النشاط البحري البيزنطي وتزعزعه تحت ضربات المسلمين المتعددة هذا من جهة، ومن جهة أخرى، بانشغال أوروبا البربرية بمشاكلها الداخلية وغيابها التام عن البحر.

وجسد المسلمون سيطرتهم المطلقة على البحر المتوسط طيلة القرنين الثاني والثالث هـ/ الثامن والتاسع م، وذلك بالاستقرار في مختلف جزر هذا البحر بما في ذلك صقلية التي تم فتحها سنة 212هـ/827م وبمهاجمة السواحل الجنوبية الأوروبية وتهديد روما..

وإن تواصلت هذه الهيمنة أثناء القرن الرابع هـ/العاشر م، خاصة بقيادة الفاطميين، فإن الروم البيزنطيين قد سجلوا عودتهم بقوة للمجال البحري وشرعوا في مهاجمة الجزر والمدن الساحلية الواقعة تحت سلطة المسلمين مثل مهاجمة جزيرة قريطش سنة 394هـ/960م (6) وأخذهم لمدينتي المصيصة وطرسوس (7)..

وقد لاحظ ابن حوقل المعاصر لتلك الأحداث هذا التحول قائلاً: «وقد ألح الرّوم في هذا الوقت على سواحل الشام بالغارة ونواحي مصر فهم يختطفون مراكبهم من كل أوب ويأخذونها من كل جهة ولا غيات ولا ناصر ومن للمسلمين بناظر...» (8)

يحقّ لنا إذا أن نتحدث عن منعرج جديد في العلاقات البحرية بين العالمين الإسلامي والمسيحي مع منتصف القرن الرابع هـ/العاشر م، وهذا المنعرج وإن ظهر بصورة جليّة في الحوض الشرقي للمتوسط، فإن بؤاده لاحت أيضاً في الأفق بالنسبة للحوض الغربي وخاصة بإفريقية.

وقد عبّرت عن هذا المنعرج الأحداث والتحوّلات الهامة التي عرفتها المنطقة آنذاك وهي بالاساس:

- انتقال الفاطميين من إفريقية إلى مصر: 395هـ/969م.

- نهاية مرحلة الصراع بين الامبراطوريات (العباسية، البيزنطية، الفاطمية...) و بروز دور المدن - الدول خاصة المدن التجارية مثل: بيشة وجنوة..

- ظهور النورمان كقوة ناشئة بالمنطقة بداية من سنة 407هـ/1016م (9) وقد رافق هذه التحوّلات البطيئة في البداية رجوع المسيحيين بأكثر ثقة للبحر، ثم تكريس نوع من التفوق سيظهر بأكثر وضوح بداية من القرن الخامس هـ/الحادي عشرم.

لكن في المقابل، وبعد رحيل الفاطميين عن افريقية، نلاحظ غياب أو تفكك الاسطول البحري بالمنطقة ونلاحظ أيضا صعوبة إعادة انشائه ونستنتج ذلك لا فقط من تحول الزيريين من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع، بل وأيضا من الاشارات المختلفة التي وردت في المصادر والتي توجي بأن الفاطميين رحلوا إلى مصر حاملين معهم اسطولهم بأكمله... وفي سنة 365هـ/975م، «أمر أبو الفتوح العامل على افريقية واليه عبد الله محمد الكاتب أن يقيم أسطولا بالمهدية.. فخرج عبد الله إلى المهدية وأخذ في حشد البحريين من كل بلد، وأمر أن يؤخذ كل من لقي منهم بالقيروان وغيرها وملأ بهم السجون...» (10). وهذا دليل على اندثار الاسطول الذي كان موجودا سابقا وعزوف السكّان والبخّارة عن القيام بأي نشاط بحري.

وفي 366هـ، وإثر أول محاولة لانشاء هذا الاسطول، خرجت القطع من المهدية وتعذّرت عليها الرياح وهرب جميع من فيها (11). هذه الاشارات توجي لنا بأن ركوب البحر أصبح صعبا بالنسبة للزيريين الذين خلفوا الفاطميين بافريقية. وتقريبا منذ نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس هـ/نهاية القرن 10 وبداية ق 11م، تحولت المبادرة في البحر لصالح المسيحيين متخذة اشكالا متعددة: اقتصادية، عسكرية، لصوصية..

### القرصنة ظاهرة متوسطة: مسيحية وإسلامية

كتب لوسيان قولفان (LUCIEN GOLVIN) منذ مدة: «إن القرن الحادي عشر وإن لم يخلق القرصنة البربرسكية، فإنه ساهم نوعا ما في اثنائها واعطائها ميزات مؤسسة فعلية» (12). ونحن نتساءل هنا لماذا التركيز على «لصوصية بربرسكية» (piraterie barbaresque)؟ هل كان الطرف المقابل بعيدا عن الساحة؟ أي هل كانت القرصنة حكرا على المسلمين فقط؟

في الحقيقة، بداية من القرن الخامس هـ/الحادي عشرم، انخرم التوازن تماما لصالح المسيحيين خاصة في الحوض الغربي للبحر المتوسط. ومنذ سنة 405هـ/1015م، تمكنت كل من بيشة وجنوة من إلحاق هزيمة بالاسطول الفاطمي الذي أصبح عاجزا عن الوصول إلى المياه الغربية. وسرعان ما أصبحت أساطيل المدن الإيطالية تهاجم سفن وسواحل المسلمين. وفي سنة 425هـ/

يبدو من خلال بعض النصوص أن بعض المدن الساحلية الإسلامية أصبحت منطلقاً لبعض أنشطة الغزو البحري مثل مدينة مرسى الخرز التي قال عنها البكري: «...وفي هذه المدينة تُنشأ السفن والمراكب الحربية والتي يُغزى بها إلى بلاد الروم. وإلى هذه المدينة يقصد الغزاة من كل أفق لأن مقطعها يقرب من جزيرة سردانية بينهما نحو مجراين...» (13). لكن هذه حالات نادرة لا يمكن أن تنسبنا ما أصبح يقاسيه المسلمون من اللصوصية البحرية المسيحية، ولا أدل على ذلك من هذه الأبيات لأبي العرب الصقلي (423هـ/507 هـ) التي تعبّر خير تعبير عن انسحاب المسلمين النسبي من البحر:

لا تعجبن لرأسي كيف شاب أسيّ      واعجب لأشود عيني كيف لم يشب  
البحر للروم ولا يجري السفين به      إلا على غرر والبر للعرب (14)

ويمكن القول إن القرن الخامس هـ/الحادي عشر هو قرن السيطرة الأوروبية المطلقة على البحر. ونظراً لأن الأنشطة البحرية الأوروبية سواء منها التجارة أو اللصوصية لم تكن في أغلب الأحيان منظمة من طرف سلطة مركزية بل من طرف مجموعات مصالح وأفراد خصوصاً بالمدن الساحلية، فإن الغالب على هذه الأنشطة هو القرصنة.

وانعكس هذا الوضع بصفة سلبية على مصير المسلمين بصقلية وبالمدن الساحلية الإفريقية الذين تحولوا من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع. وقد زاد الطين بلة تفكك السلطة المركزية بإفريقية نتيجة زحف قبائل هلال وسليم على المنطقة بداية من سنة 443هـ/1051م.

وقد تتالت الأحداث بسرعة وفي مدة وجيزة معلنة عن بداية مهاجمة النورمان لصقلية سنة 444هـ/1052م وسقوط بالرم سنة 484هـ/1091م (تزامنت هذه الأحداث مع بداية تراجع المسلمين بالأندلس: سقوط طليطلة: 479هـ/1086م وكذلك مع بداية الحملات الصليبية: 90-489هـ/1095-1096م). وتواصل هذا المدّ ليشمل عاصمة الزيريين: المهديّة ومهاجمتها وسبي سكانها من طرف البيشيين والجنوبيين منذ سنة 480هـ/1087م. وفي ذلك قال الشاعر أبو الحسن الحداد:

غزا حمانا العدو في عدد      هما الدبا كثرة أو التّغف  
عشرون الفا ونصفها ائتلفوا      من كلّ أوب لبئسما ائتلفوا  
جاؤوا على غرة إلى نفر      قد جهلوا في الحروب ما عرفوا

قد صالحهم تميم بن المعزّ على مائة ألف دينار واقلاعهم بما حصل في أيديهم من المسلمين وأموالهم (16).

وصاحب هذا التفوق البحري المسيحي منذ هذه الفترة تنشيط التبادل التجاري خاصة بين المدن الإيطالية وبقية العالم الإسلامي. بل أكثر من ذلك أصبحت المبادلات والتنقلات عن طريق

البحر بين المناطق الاسلامية نفسها تمرّ حتما عبر سفن تابعة للمدن الإيطالية.

وفي الفترة التي سافر فيها ابن جبير أثناء رحلته إلى الشرق (578هـ/1182م) على متن مركب على ملك الجنوئين، شاهد بأمّ عينه أسرى المسلمين يباعون في السوق بجزيرة سردانيا (17). وقد تعددت المراكز التي أصبح ينطلق منها القراصنة في الساحل الشمالي للمتوسط مثل: قستليون (Castellon) التي تقع شرقي برشلونة. وقال عنها ابن سعيد أنها «معقل القراصنة» (18). و حسب قول ابن جبير عندما التجأ المركب الذي يقلّه اضطرارا إلى مدينة مسينة «أصبح من العادة انتهاب المراكب واستعباد من فيها» (19).

أمام هذه الوضعية، أصبح المسلمون يفكرون في الدفاع عن الذات بنفس السلاح: الغزو البحري، متمثلين بقول الشاعر أبي محمد القاسم بن عبد الله التميمي:

إذا كان لا ينجيك أنك هارب      فلم يبقَ حزم غير أنك هاجمُ  
وطيب حياة المرء في عزّ موته      وما الموت إلا أن تهون الكرائم (20)

لذلك نشأت حركة دفاعية في بعض مدن الساحل الجنوبي للمتوسط لم يكن هدفها في هذه المرحلة مهاجمة العدو (دار الكفر) ونشر الدين الإسلامي وفتح بعض المناطق، بل اقتصر على نوع من القرصنة أو الغزو البحري شبيه بما قام به المسيحيون من قبل ذلك، وبما أن هؤلاء كانت لهم الأسبقية والتفوق العددي والتقني ظهرت حركة الغزو من طرف المدن الإسلامية وكأنها دفاع عن النفس لا أكثر.

ورغم ذلك، فإن بعض المجموعات السكنية الساحلية أو بعض الأفراد قد نجحوا في ردّ الفعل بقوة وبنجاعة مما جعل الأعداء يهابونهم. وحسب الغبريني، أصبحت بجاية «بلد غزاة وكان غزاة قطعها يدخلون إلى دواخل الجزر الرومانية وغيرها ويسوقون السبي الكثير منها، وينزل الناس لشرائه بحومة المذبح..» (21).

وبالمهدية ظهر رجل يعرف بابن أبي الأحمر (أو بأبي حمراء) «اشتهر بالنجدة في غزو البحر، وقدم على الأسطول فردد الغزو حتى هابه الغزاة من أمم الكفر وأمنت سواحل المسلمين من طروقهم وطار له فيها ذكر..» (22).

هذا بعض ما أورده المصادر عن الفعل وردّ الفعل في مجال الغزو البحري. لكن هذا النشاط تحول شيئا فشيئا من حالة الدفاع عن النفس إلى وضعية تنبئ بتركيز مؤسسة اقتصادية يلعب فيها السلطان دورا هاما لما تدرّه عليه من أرباح، وهو تطور متأخر ولا يمكن فهمه إلا بتتبع العلاقات على هذا المستوى بين الدولة الحفصية وبقية القوى المسيحية.

## القرصنة (أو القُطْع البحري) في العهد الحفصي

بداية من القرن السابع وفي الفترات الموالية، عرفت افريقية استقرارا سياسيا نسبيا بفضل وجود سلطة مركزية قوية في أغلب الفترات. ورغم تواصل هيمنة المسيحيين المطلقة على مستوى النقل والتنقل في البحر، نلاحظ تأسيسا لعلاقات جديدة مبنية على الفعل ورد الفعل ومبنية على الاتفاقات والمعاهدات، ولو كانت في الكثير من الأحيان لصالح الطرف الأقوى على الميدان. ومن خلال المعلومات التي أوردتها المصادر، يصعب التفريق أحيانا بين العمل المنظم والمسير من طرف السلطة السياسية أي الحرب، والصوصية أو القُطْع البحري الذي يقوم به قراصنة عادة ما يكونون في خدمة السلطة، أو يحظون بمباركتها قصد بثّ الرعب في الطرف المقابل، وقصد الحصول على الأرباح التي أصبحت تمثل دخلا محترما للبعض منهم. وإن كانت المصادر لا تفرق البتة بين الشكلين، فهي أيضا لا تتحدث في أغلب الأحيان إلا عن العمليات التي تنقذ مباشرة في المراسي، أو التي تتعرض لها بعض المدن الساحلية مهملة ما يتم في أعماق البحار وكأنه لا يدخل تحت مسؤولية أي طرف.

وحسب الاشارات القليلة التي أوردتها المصادر، يبدو أن افريقية قد تحملت وقبلت الضغط المسيحي بصفة سلبية طيلة القرن السابع هـ/الثالث عشر. وقد سلّط هذا الضغط على المسافرين ووسائل النقل البحري الاسلامية، ولو كانت راسية بمراسيها. من ذلك ما ذكره الغبريني حين كان مارا بتونس: فأصبحت في المرسى (بتونس) اجفان غزوانية للنصارى.. وبعد أيام قاتلت الجفن المعروف بجفن الحراني وأخذته بالمرسى..» (23). ويروي ابن خلدون ما حدث لجزيرة جربة سنة 683هـ/1284م ذاكرة أن «سبعين أسطولا (قطعة) من غريان وشواني.. تغلبوا عليها فانتهبوا أموالهم واحتملوا أهلها أسرى وسبيا. يقال إنهم بلغوا ثمانية آلاف بعد أن رموا بالرضع في الجيوب..» (24). وفي نفس الفترة تقريبا (686هـ/1287م) فعلوا بمرسى الخرز أكثر من ذلك وحسب ابن خلدون: «غدر النصارى بمرسى الخرز.. واكتسحوا ما فيها، واحتملوا أهلها أسرى واضرموا بيوتها نارا، ثم مرّوا بمرسى تونس وانصرفوا إلى بلادهم» (25). وفي كل هذه الحالات لا تفيدنا المصادر بأي شيء عن الجهة التي قامت بالفعل، ومن هو منظم العملية والمنفع منها، وما هي ردود الفعل المحلية وخاصة موقف السلطان منها. هل كان عاجزا عن الدفاع عن هذه المناطق أم ماذا؟ فهم بعد مهاجمتهم لمرسى الخرز مرّوا بحاضرتهم ثم قفلوا سالمين.. ويبدو عمليا أن السلطان كان عاجزا عن القيام بأي فعل، وستتبلور الأمور أكثر مع بداية القرن الثامن هـ/الرابع عشر م إذ أنه بالنسبة لهذه الفترة، يمكن أن نحصل على الكثير من المعلومات الهامة التي تهّم الطرفين خاصة بفضل الوثائق المتعلقة بمملكة أراغون (26) التي نجدها ثرية بالمعلومات حول نشاط القرصنة والأطراف الفاعلة فيه وعن تنظيم العلاقات في هذا المجال ويمكن بعد دراسة الوثائق: 116-118-119-120-122-127-128-129-131-135-140-143 الخروج بالملاحظات التالية:

- الاستعمال الواضح من طرف السلطان الحفصي ومثليه لكلمتي: قرصنة وقطع (27) ومشتقاتها: قراصلة وقرصال (28) وكذلك: أجفان غزوانية وقطع غزوانية (29)

- وجود أشخاص لهم صبغة رسمية يشاركون في عمليات الغزو البحري ويمكن ذكر: صاحب البحر من جانب صاحب افريقية (30) و المر اليّة Al Amirante من جانب صاحب الأراغون (31)

- كل العمليات التي تمّ ذكرها مضبوطة من حيث المكان والشخص القائم بها وعادة ما يتمّ ذكر اسم الشخص كاملا: أي أن هؤلاء القراصنة كانوا معروفين.

- ربما استعمل القرصان اعلام المملكة (بالنسبة للأراغون) (32)

- أصبح هذا النشاط هاما على مستوى النشاط والمراكز والتجهيزات وقد ورد أسير مسلم على تونس قدم من برشلونة في شوال سنة 704هـ/1305م و ذكر أنه ترك هناك برسم القرصنة أجفانا مجهزة مع ذكر قوادها بالمواضع التالية: ثلاثة بيلنسية، أربعة بطركونة (Tarragona)، ثلاثة بطرطرشة (Tortosa)، ثلاثة ببنشكة (Peniscola) ثلاثة بلقنت (Alicante) وأربعة بقصطيون (Castellon) (33).

- كانت العمليات القرصنية لا تستهدف سفن المسلمين فقط بل كانت تتعرض أيضا لسفن النصارى خاصة الراسية في المواني الافريقية (34) ولعلّ الهدف من ذلك أخذ البضائع التي ربما كانت على ملك المسلمين.

- بعض المسلمين مثل أهل سبتة هاجموا المراسي الحفصية وأخذوا أجفانا للنصارى (35).

- تذكر هذه الوثائق أسماء بعض الرئاس المسلمين مثل الرئيس ابراهيم السوسي، الرئيس محمد بن زكرياء البجائي (36).

- بلغت فدية ثلاثة أسرى مسلمين سنة 702هـ/1302م: 500 دينار (37) وبصفة عامة أثبتت هذه الوثائق بصفة قطعية أن المبادرة والغلبة كانت دائما لصالح المسيحيين ولا أدلّ على ذلك من صلح 708هـ/1309م مع صقلية والذي التزم فيه السلطان الحفصي بدفع 30000 دينار ورغم ذلك لم تنج افريقية من عمليات تهيم القرصنة (38). وكذلك صلح 761هـ/1360م مع أراغون والذي اشترط فيه الملك بيدرو الرابع ألفى دينار على كل ديوان من سائر دواوين السلطنة (39)...

لكن مع منتصف القرن 8هـ/14م، شرع سكان افريقية في ردّ الفعل بأكثر جدية وأكثر ندية. وفي ذلك يقول ابن خلدون: «فتنبهت عزائم كثير من المسلمين بسواحل افريقية لغزو بلادهم. وشرع في ذلك أهل بجاية... فيجتمع النفراء والطائفة من غزاة البحر، ويصنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال الرجال ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزائره على حين غفلة فيختطفون



منها ما قدروا عليه، ويصادمون ما يلقون من اساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبي والاسرى، حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية باسراهم وتضج طرق البلد بصخب السلاسل والاغلال عندما ينتشرون في حاجاتهم ويغالون في فدائهم...» (40).

ويمكن القول إن الوضعية ستتغير كثيرا في الفترات اللاحقة حين أصبحت القرصنة قتل موردا هاما بالنسبة لهذا الطرف أو ذاك وربما كان المسيحيون بحكم تفوقهم في مجال صناعة السفن والتقنيات الحربية، أجراً في عملياتهم حيث كانوا يدخلون المراسي عنوة ويأخذون المراكب بما فيها من سلع وأشخاص أحيانا (41). وقد خصص السلطان أبو فارس عبد العزيز (796هـ/ 1394م - 837هـ/ 1434م) أموالا طائلة لفك أسر المسلمين وأوقف لذلك أوقافا هامة (42). وذكر عبد الله الترجمان الذي كان شاهد عيان أن هذا السلطان كان يوصي تجار النصارى من جميع اجناسهم أن يأتوه بكل ما يقدرون عليه من أسارى المسلمين وعين لهم في كل شاب من ستين إلى سبعين دينارا وفي كل شيخ أو كهل من الأربعين إلى الخمسين دينارا... (43).

ورغم المنافع المادية المباشرة لهذا النشاط، فإنه يبدو غير منظم. وحتى ما أورده ابن خلدون عن «النفراء والطائفة من غزاة البحر» (44) لا يعني بالضرورة وجود تنظيم للقرصنة أو هيكلية معينة. والأبعد من ذلك هو امكانية اشراف السلطان على هذا القطاع على الأقل حتى نهاية القرن التاسع هـ/ الخامس عشر م. ويظهر أنه مع بداية القرن العاشر هـ/ السادس عشر م تغيرت الأوضاع. فقد اشترط السلطان الحسن على خير الدين بربروسة خمس الغنائم مقابل إقامته في بعض مراسي البلاد (45). وكان لهذا السلطان «جماعة» (46) يرغب في انضمام الغزاة اليهم (47). وهكذا يبدو أن النشاط القرصني بدأ يبرز كنشاط اقتصادي فعلي قبيل الحضور العثماني بقليل. وقد وصف الحسن الوزان أهل بجاية بأنهم «على قدر عظيم من الغنى، يسلكون العديد من السفن الحربية المختلفة ويرسلونها لغزو شواطئ اسبانيا...» (48).

أخيرا يمكن القول إن افريقية كانت على وشك أن تكون مسرحا للنشاط القرصني المهيكل والمنظم قبل الحضور العثماني، وكان السبب في ذلك هو تقلص عائدات السلطان منذ بداية القرن 10هـ/ 16م من الأنشطة الداخلية، ومن اختلال التبادل الخارجي المرتبط باكتشاف العالم الجديد والطرق الجديدة عبر المحيطات. ومن المؤكد أن النشاط القرصني الذي ستعرفه المنطقة لاحقا يختلف كليا، من حيث تنظيمه وهياكله ووسائله عن الغزو البحري الذي عرفته افريقية في الفترات السابقة.

## المواش

- (1) ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن 1938، ا، 205
- (2) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، تونس 1968، ص 66
- (3) الرقيق، ن م، ن ص
- (4) ابن عذاري، البيان المغرب، بيروت 1980، ا، 42
- (5) أبوالعرب، طبقات علماء افريقية وتونس، تونس 1968، ص 88
- (6) القاضي النعمان، المجالس والمساربات، تونس 1978، ص 442-443
- (7) البيان المغرب، ا، 223
- (8) صورة الأرض، ا، 205
- (9) Robert Fossier, Le moyen âge; II, Paris 1982, p 131.
- (10) البيان المغرب، ا، 228
- (11) ن م، 230
- (12) L. Golvin; le Maghreb central à l'époque Ziride, Paris 1957, p148-X. de Planhol, Les fondements géographiques, de l'Histoire de l'islam, Paris 1968, p 151.
- (13) أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تونس 1992، ج ا، ص 718
- (14) محمد النيفر، عنوان الأريب، تونس 1351هـ، ا، 123
- (15) أبو محمد عبد الله التجاني، رحلة، تونس 1981، ص 33، البيان المغرب، ا، 301
- (16) رحلة التجاني، ص 332
- (17) محمد بن أحمد بن جبير، رحلة، القاهرة 1955، 4
- (18) أبو الحسن علي بن سعيد، كتاب الجغرافيا، بيروت 1980، 181
- (19) رحلة ابن جبير، 313
- (20) عنوان الأريب، ا، 137
- (21) أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية، الجزائر 1981، 76
- (22) ابن خلدون، العبر، بيروت 1983، VI، 599-600
- (23) عنوان الدراية، 118
- (24) العبر، VI، 697
- (25) ن م، VI، 898
- (26) Los documentos Arabes diplomaticos des archivo de la corona de Aragon, M.A. Alarcon Santon, R.G. De Linares, Madrid 1940.
- (27) المصدر المذكور، ص 259، 272، 282، 312
- (28) م م، 286، 291
- (29) م م، 255، 267، 304
- (30) م م، 255، 257
- (31) م م، 259، 284
- (32) م م، ص 255
- (33) وثيقة رقم 119

- (34) وثيقة رقم 119  
(35) وثيقة رقم 135، ص 300  
(36) وثيقة رقم 119، ص 259  
(37) وثيقة رقم 119، ص 259  
(38) وثيقة رقم 122، ص 272  
(39) وثيقة رقم 140، ص 313  
(40) العبر، VI، 903  
(41) عبد الله الترجمان وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تونس 1983، 13  
(42) تحفة الأريب، 17  
(43) ن م، 18  
(44) العبر، VI، 903  
(45) تاريخ عروج (مخطوط بالمكتبة الوطنية تونس رقم 13754) 5 ظ  
(46) ن م، 6 و  
(47) ن م، 6 و  
(48) الحسن الوزان (ليون الافريقي)، وصف افريقيا، بيروت 1983، II، 50.